متون مهمات العلم

المتن الثاني

تشجيرات

ثلاثةُ الأُصولِ وأدلَّتُها

من تقريرات الشيخ

صَالِح بن عَبْدِ الله بن حَمَدٍ العُصَيْمِيّ

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

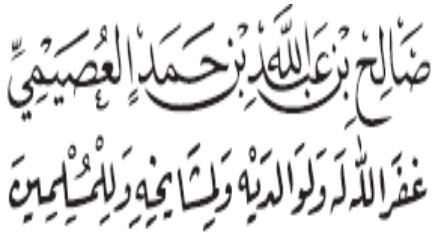

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اعْلَمْ -رَحِمَكَ اللهُ- أَنَّهُ يَجِبُ عَلَينَا تَعَلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ:

الأُولَى: العِلْمُ؛ وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللهِ وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ وَمَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلَامِ بِالأَدِلَّةِ.

العلم شرعا

هو إدراك خطاب الشرع

ومرده إلى المعارف الثلاث:

معرفة

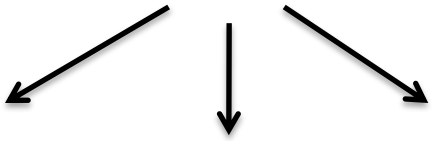

الله عز وجل **ربا**

الإسلام **دينا**

محمد صلى الله عليه وسلم **نبيا** **رسولا**

وقوله (**بالأدلة**): متعلق بالمعارف الثلاث, بمعرفة العبد ربه ونبيه ودينه

والمعرفة المأمور بها شرعا

نوعان:

معرفة إجمالية

وهي معرفة أصول الشرع وكلياته

ويتعلق وجوبها **بالخلق كافة**

معرفة تفصيلية

وهي معرفة تفاصيل الشرع وجزئياته

ويتعلق وجوبها **بآحاد من الخلق** لمعنى قام بهم; كالقاضي والمفتي والحاكم والمعلم وغيرهم.

والعلم المطلوب شرعا

له وصفان:

الذي يطلب **من العلم**

المعرفة

وهو معرفة العبد ربه ودينه ونبيه. وحقيقة هذه المعرفة علم الشرع

الذي يطلب **في العلم**

العلم = المعرفة + الأدلة

وهو كونه مقترنا بالأدلة الشرعية, فإذا اقترنت المعرفة بالأدلة; صارت علما

الثَّانِيَةُ : العَمَلُ بِهِ.

العمل شرعا

هو ظهور صورة خطاب الشرع على العبد

وخطاب الشرع نوعان :

خبري

وظهور صورته: بامتثاله بالتصديق إثباتا ونفيا.

مثال ذلك

قوله تعالى: (وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا);

العمل به: بظهور صورته بامتثاله إثباتا أن الساعة آتية.

قوله تعالى: (وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ);

العمل به: بظهور صورته بامتثاله نفيا للظلم عن الله تعالى.

طلبي

وظهور صورته بامتثال الأمر والنهي, واعتقاد حل الحلال.

مثال ذلك

قوله تعالى: (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ);

العمل به: بظهور خطاب الشرع بامتثال الأمر; بإقام الصلاة.

قوله تعالى: (وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا);

العمل به بظهور خطاب الشرع بامتثال النهي; باجتناب الزنا.

قوله تعالى: (أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ);

العمل به بظهور خطاب الشرع باعتقاد حل صيد البحر وطعامه.

الثَّالِثَةُ : الدَّعْوَةُ إِلَيهِ.

الدعوة

والمراد بها الدعوة إلى المعارف الثلاث:

معرفة العبد

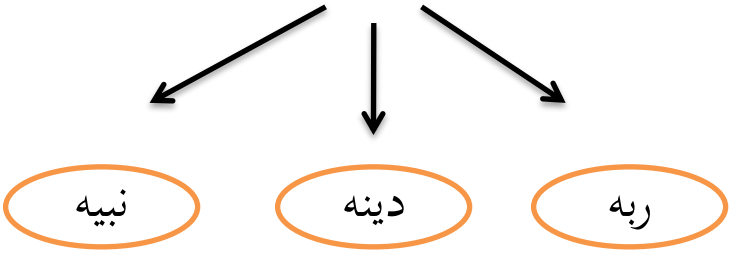

والدعوة إلى الله هي طلب الناس كافة إلى عبادة الله على بصيرة, قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى

الرَّابِعَةُ : الصَّبْرُ عَلَىٰ الأَذىٰ فِيهِ.

الصبر

وهو شرعا: حبس النفس على حكم الله

والصبر على الأذي فيه يعني في العلم؛ تعلما وعملا ودعوة

وحكم الله نوعان:

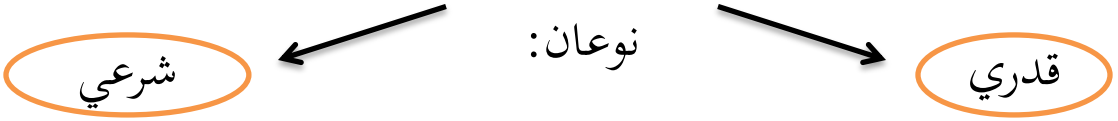

والصبر على الأذى في العلم; من الصبر على حكم الله القدري.

ولما كان العلم مأمورا به; صار الصبر على الأذى فيه من حكم الله الشرعي.

والدَّلِيلُ قَولُه تَعالَى: بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝﴾ [العَصر: ١-٣].

فكان **تعلم تلك المسائل الأربعة واجبا**; لأن الله عز وجل أقسم بالعصر أن جميع الناس في خسارة إلا من قامت فيهم تلكم المسائل, فصارت نجاة العبد متوقفة على تعلمها.

وفي هذا دليل على **المسألة الأولى**; وهي العلم, لأن الإيمان لا يتحقق أصله ولا كماله إلا بتحصيل العلم.

وفي هذا دليل على **المسألة الثانية**; وهي العمل, ووصف الأعمال بالصالحات فيه بيان أن المطلوب من العبد ليس مطلق العمل, بل مطلوب منه عمل مخصوص جامع للإخلاص لله تعالى وللاتباع لهدي النبي صلى الله عليه وسلم.

وفي هذا دليل على **المسألة الثالثة**; وهي الدعوة, **والتواصي**: تفاعل وهو الوصية بين اثنين فأكثر وهذه حقيقة الدعوة إلى الله. **والحق**: هو اسم لما وجب ولزم, وأعلاه ما وجب عن طريق الشرع.

وفي هذا دليل على **المسألة الرابعة**; وهي الصبر.

فهذا هو خبر الناجين, والباقي في خسر وهلاك

قَالَ الشَّافِعِيُّ -رَحِمَه اللهُ تَعَالىٰ-: «هٰذه السُّورَةُ لَو مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَىٰ خَلْقِهِ إلَّا هِيَ لَكَفَتْهُمْ».

يقصد رحمه الله بكلمته هذه: لكفتهم في قيام الحجة عليهم بامتثال حكم الله الخبري والطلبي, فهي حجة على الناس في أصول الدين وكلياته لا حجة عليهم في جميع أمور الدين.

وَقَالَ البُخَارِيُّ -رَحِمَه اللهُ تَعَالىٰ-: «بَابٌ: العِلْمُ قَبْلَ القَولِ والْعَمَلِ، والدَّلِيلُ قَولُهُ تَعَالىٰ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمَّد: ١٩]، فَبَدَأَ بالْعِلْمِ قَبْلَ القَولِ وَالْعَمَلِ».

ووجه الاستدلال من الآية: أن الله عز وجل أمر بالعلم قبل الاستغفار, وحقيقة الاستغفار: التوبة مع طلب المغفرة, والتوبة متضمنة للقول والفعل, وطلب المغفرة بالدعاء متضمن للقول.

اعْلَمْ -رَحِمَكَ اللهُ-: أَنَّهُ يَجِبُ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ تَعَلُّمُ ثَلَاثِ هٰذه المَسَائِلِ والْعَمَلُ بِهِنَّ:

الأُولَىٰ: أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا وَرَزَقَنَا وَلَمْ يَتْرُكْنا هَمَلًا؛ بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولًا، فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ.

والدَّلِيلُ قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ۞ فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلٗا ۞﴾ [المزَّمِّل: الآيتان ١٥-١٦].

مقصود تلك المسألة بيان وجوب طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم.

ووجه الاستدلال من الآية أنه من عصى رسل الله عز وجل فهو متوعد بالعذاب كما عذب فرعون من قبل.

الثَّانِيَةُ: أَنَّ اللهَ لَا يَرْضَىٰ أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحدٌ فِي عِبَادَتِهِ، لَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَلا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلا غَيرُهُمَا، وَالدَّلِيلُ قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ۞﴾ [الجنّ: ١٨].

مقصود تلك المسألة إبطال الشرك في العبادة ووجوب توحيد الله.

ووجه الاستدلال من الآية قوله تعالى: (فلا تدعوا), والدعاء يطلق في القرآن ويراد به العبادة. ونهيه عن عبادة غيره دليل على وجوب توحيده عز وجل فيها, لأن العبادة حق له سبحانه, وحق الله لا إشراك فيه.

الثَّالِثَةُ: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ وَوَحَّدَ اللهَ لَا يَجُوزُ لَهُ مُوَالَاةُ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَو كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ، وَالدَّلِيلُ قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۞﴾ [المجادلة: ٢٢].

مقصود تلك المسألة بيان وجوب البراءة من المشركين. وتلك المسألة لا تتحقق إلا بتحقيق المسألتين الأوليين, فهي بمثابة **التابع اللازم** لهما.

قوله: (من حاد الله ورسوله) أي كان في حد مباين لحد الله ورسوله وهو حد الكفر والشرك, فالمشركين في حد والموحدين في حد مخالف.

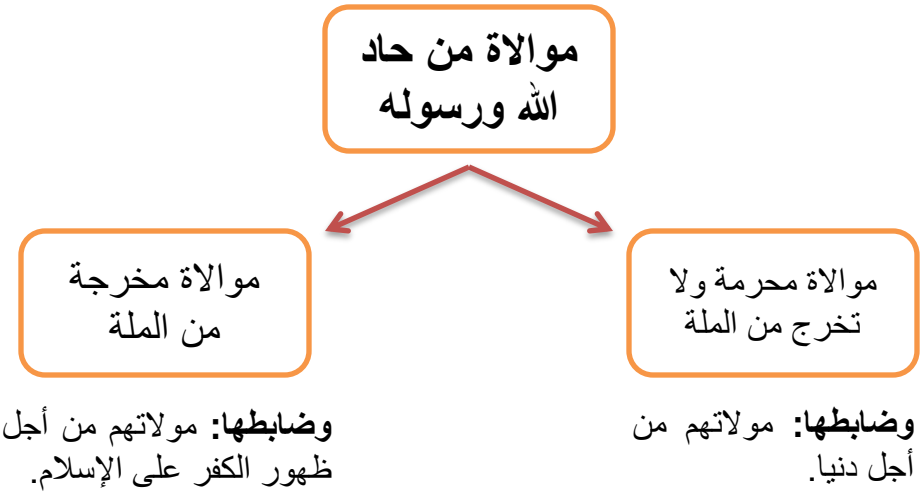

فائدة

رسالة ثلاثة الأصول وأدلتها; ثلاثة رسائل
وليست رسالة واحدة

اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ أَنَّ الحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ، وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ وَخَلَقَهُمْ لَهَا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝﴾ [الذّاريَات: ٥٦]، وَمَعْنَىٰ يَعْبُدُونِ: يُوَحِّدُونِ.

وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ: التَّوحِيدُ، وَهُوَ: إِفْرَادُ اللهِ بِالْعِبَادَةِ.

وَأَعْظَمُ مَا نَهَىٰ عَنْهُ الشِّرْكُ، وَهُوَ: دَعْوَةُ غَيرِهِ مَعَهُ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النِّسَاء: ٣٦].

الحنيفية
في الشرع

لها معنيان:

عام
وهو الإسلام

خاص
وهو الإقبال على الله بالتوحيد

ولازمها الميل عمن سواها بالبراءة من الشرك, وهي دين الأنبياء جميعا.
وقول المصنف "أن تعبد الله وحده مخلصا له الدين" هو حقيقة الحنيفية ولبها الجامع للمعنيين معا.

وأصل الحنيفية وضعا – بما وضع لها من لغة العرب – الإقبال ولازمها الميل, ولا يفسر الكلام ابتداءا إلا بما وضع له من لغة العرب ثم يفسر باللازم تبعا للوضع.

وهي دين الأنبياء جميعا. **وليست مختصة بابراهيم** عليه السلام فقط, **وأضيفت إليه** في الشرع دون غيره لثلاثة أمور::

أن مشركي **العرب يعرفون ابراهيم** عليه السلام ويذكرون أنهم من ذريته ويزعمون أنهم على دينه, فحقيق بهم أن يكونوا موحدين.

أن الله عز وجل جعل **ابراهيم عليه السلام إماما** لمن بعده من الأنبياء, بخلاف سابقيه.

أن **إبراهيم** عليه السلام هو أكمل الخلق في تحقيق التوحيد، حتّى رَقى إلى مرتبة الخُلّة، وشاركه نبيُّنا ﷺ فيها، وإبراهيمُ والدٌ ونبيُّنا ولدٌ، فالنسبة إلى الوالِد أكمل من النسبة إلى الولد.

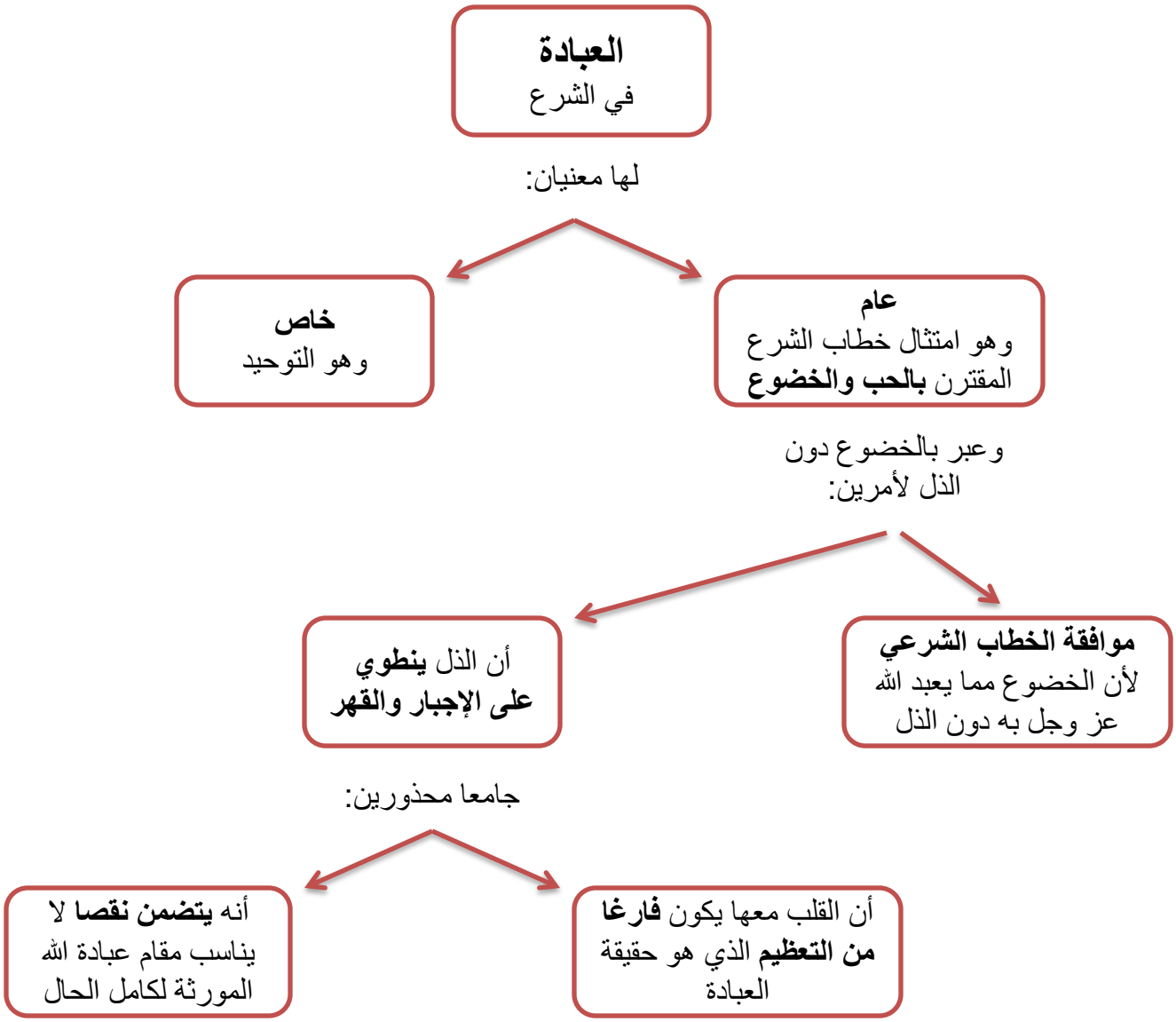

الخضوع	الذل
ديني شرعي, وكوني قدري	كوني قدري
يتقرب لله عز وجل بالخضوع ويكون عبادة له.	لا يتقرب لله عز وجل بالذل ولا يكون عبادة له.
•في الحديث: "إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله". •وفي قنوت عمر رضي الله عنه: "ونؤمن بك ونخضع لك".	•قوله تعالى: "خاشعين من الذل". •وقوله تعالى: "ترهقهم ذلة".

وعبادة الرحمن غاية حبه *** وخضوع قاصده هما قطبان
والذل قيد ما أتى في وحينا *** والوحي قطعا أكمل التبيان

قوله تعالى:
(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)
فيه أن العبادة

- خلق الناس من أجلها
- وجميع الناس مأمورون بها

ودلالة الآية على المسألتين من وجهين

- **صريح نصها;**
  الخلق للعبادة
  أن علة الخلق; العبادة
- ولفظ "الناس" يشمل الجن والإنس على أصح القولين
- **ولا زم لفظها;**
  الأمر بالعبادة
  أن جميع الناس مأمورون بها

وفسرت "يعبدون" بيوحدون لوجهين:

- أنه من تفسير اللفظ **بأخص أفراده** تعظيما له, فآكد أنواع العبادة وأعظمها: التوحيد.
- أنه من تفسير اللفظ **بما وضع له في خطاب الشرع**.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كل ما ورد في القرآن من العبادة فمعناها التوحيد.

وتتحقق **الصلة بين العبادة والتوحيد** اتحادا وافتراقا على حسب المعنى المنظور إليه

- **يفترقان**
  إذا نظر إلى الأعمال المتقرب بها إلى الله تعالى

أي آحاد العمل, فالعبادة أعم, فكل ما يتقرب به إلى الله تعالى; عبادة, ومن جملة ما يتقرب به إلى الله تعالى; التوحيد. ويدل على ذلك حديث إرسال معاذ إلى اليمن, ففيه أن التوحيد من جملة ما يتقرب به إلى الله, بل هو الأعظم.

- **يتحدان**
  إذا نظر إلى إرادة التقرب

أي قصد القلب إلى العمل تقربا إلى الله تعالى, فكل عبادة يتقرب بها إلى الله عز وجل هي توحيد له. ويدل على ذلك قول ابن عباس رضي الله عنهما السابق.

التوحيد
في الشرع

له معنيان:

عام
وهو إفراد الله تعالى بحقه

وحق الله نوعان:

حق في المعرفة والإثبات

وحق في الإرادة والطلب

خاص
وهو إفراد الله عز وجل بالعبادة

وهو المعهود في خطاب الشرع, فإذا أطلق التوحيد في القرآن والسنة; فيكون معناه الخاص هو المقصود.

وينشأ من هذين الحقين; أن الواجب لله عز وجل من التوحيد ثلاثة أنواع:

توحيد الربوبية

توحيد الألوهية

توحيد الأسماء والصفات

الشرك
في الشرع

وقول المؤلف: "هو دعوة غيره معه" بمعنى "عبادة غيره معه", لأن الدعاء هو العبادة كما تقدم.

له معنيان:

عام
وهو جعل شيء من حق الله تعالى لغيره

خاص
وهو جعل شيء من العبادة لغير الله سبحانه

وهو المعهود في خطاب الشرع, فإذا أطلق الشرك في الآيات والأحاديث; فيكون معناه الخاص هو المقصود.

وعبر بالجعل دون الصرف لوجهين:

أن الجعل مذكور في خطاب الشرع

قوله تعالى: "فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون", وحديث أي الذنب أعظم: "أن تجعل لله ندا وهو خلقك".

أن الجعل متضمن لتأله القلب وإقباله

وهذا المعنى ليس موجود في كلمة "صرف", فهي موضوعة لتحويل الشيء عن وجهه دون ملاحظة المحول إليه.

وأعظم ما أمر الله به:
التوحيد

وأعظم ما نهى الله عنه:
الشرك

والدليل:

قوله تعالى:
(وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا)

وهو صدر آية الحقوق العشرة من سورة النساء

ودلالة الآية على **أعظمية التوحيد والشرك** أمرا ونهيا من وجهين:

ابتداء تلك الحقوق المعظمة بالأمر بالعبادة وحقيقتها التوحيد وبالنهي عن الشرك

عطف ما بعدهما عليهما لأنه لا يبدأ إلا بالأهم

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الأُصُولُ الثَّلاثَةُ التِي يَجِبُ عَلَىٰ الإِنْسَانِ مَعْرِفَتُها؟

فَقُلْ: مَعْرِفَةُ العَبْدِ رَبَّهُ، وَدِينَهُ، وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ.

لا يمكن القيام بالعبادة إلا بمعرفة **ثلاثة أمور**

ولما كانت العبادة لا يمكن القيام بها إلا بمعرفة تلك الأصول; صار **تعلمها واجبا**, فكل أمر بالعبادة متضمن الأمر بمعرفة تلك الأصول الثلاثة.

معرفة المعبود الذي تجعل له العبادة **الله**

معرفة المبلغ عن المعبود **الرسول**

معرفة كيفية العبادة **الدين**

ودليل تلك الأصول الثلاثة: كل أمر بالعبادة من الكتاب أو السنة, فالأمر بالعبادة مشتمل على الأمر بمعرفة ثلاثة الأصول, لأنه لا يمكن القيام بالعبادة إلا بمعرفة ثلاثة الأصول. **قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ)**; فلا يمكن امتثال العبادة المأمور بها في الآية إلا بمعرفة **المعبود** الذي تجعل له العبادة, ومعرفة **المبلغ** عن المعبود, ومعرفة **كيفية العبادة**.

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟

فَقُلْ: رَبِّيَ اللهُ الَّذِي رَبَّانِي، وَرَبَّىٰ جَمِيعَ العَالَمِينَ بِنِعْمَتِهِ، وَهُوَ: مَعْبُودِي لَيسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ.

وَالدَّلِيلُ قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفَاتِحَة: ٢]، وَكُلُّ مَن سِوىٰ اللهِ عَالَمٌ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ العَالَمِ.

أصول **معرفة الله** الواجبة على كل أحد

- **معرفة وجوده**: فيؤمن العبد أنه موجود
- **معرفة ربوبيته**: فيؤمن العبد بأنه رب كل شيء
- **معرفة ألوهيته**: فيؤمن العبد بأنه هو الذي يعبد بحق وحده
- **معرفة أسمائه وصفاته**: فيؤمن العبد بأن لله أسماءا حسنى وصفات عليا

والدليل على تلك الأصول الأربعة
قوله تعالى: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)
ووجه الدلالة:

- (الْحَمْدُ لِلَّهِ); فالمعدوم لا يحمد, فلما حمد دل على أنه **موجود**
- (رَبِّ الْعَالَمِينَ); فيه اثبات **الربوبية** لله عز وجل
- (الْحَمْدُ لِلَّهِ); فيه اثبات **الألوهية**, فهو المستحق للحمد
- (لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ); فيه **إسمان** متضمنان **لصفتين** هما الألوهية والربوبية

الموجودات سوى الله
نوعان:

الأفراد التي لا نظير لها من جنسها فلا يشاركها غيرها في حقيقتها

الأفراد المتجانسة
أي المشتركة في جنس واحد ويسمى مجموعها بالعالمين

فتفسير العالمين بأنه: "ما سوى الله"; **لا يصح**, لأنه تفسير حادث وكلام الله لا يفسر بالمصطلح الحادث بل يفسر بالحقائق الشرعية أو اللغوية, وإنما هو تفسير ذكره بعض المتأخرين وحقيقته أنه اصطلاح جرى به لسان علماء الكلام فشاع وذاع, ومنشأه أن علماء الكلام ركبوا مقدمتين: أن الله قديم وأن العالم حادث, فصار نتاج هاتين المقدمتين أن ما سوى الله عالم; فهي نتيجة عقلية من قاعدة منطقية لا مدخل لها في لسان العرب. فالعالم في لسان العرب يستخدم للدلالة على الأفراد المتجانسة مثل عالم الإنس وعالم الجن ومثل هذا, ومجموعها يسمى العالمين وما لا جنس له لا يندرج في هذا مثل العرش والكرسي والجنة والنار. وتفسر "العالمين" بأصناف الخلائق; ذكره بعض المتأخرين من علماء الحنابلة.

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟

فَقُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ، وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيلُ وَالنَّهَارُ، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ، وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَالأَرَضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَمَا بَيْنَهُمَا.

وَالدَّلِيلُ قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧]، وَقَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۞﴾ [فُصِّلَت: ٣٧]، وَقَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞﴾ [الأعراف: ٥٤].

والدليل المرشد
إلى معرفة الرب شيئان:

وهما مذكوران في قول المصنف "بآياته

التفكر في **آياته الكونية**

التفكر في **آياته الشرعية**

الآيات في خطاب الشرع

وقول المصنف: "بآياته ومخلوقاته" من عطف الخاص على العام, فآيات الله الكونية تسمى مخلوقات.

لها معنيان:

الآيات الكونية
وهي المخلوقات

الآيات الشرعية
وهي ما أنزله الله من الوحي على رسله

واقتصر المؤلف على ذكر الآيات الكونية لأمرين:

أن دلالة الآيات الكونية على الله عز وجل أظهر وأبين

عموم معرفة الآيات الكونية, فيشترك في معرفتها المؤمن والكافر لأنها ظاهرة قاهرة

قرنها المؤلف بلفظ الآيات:

الليل والنهار والشمس والقمر ---> **آيات**

مراعاة لأغلب السياق القرآني, وجاءت هكذا في القرآن مراعاة لوضعها اللغوي عند العرب, **فهن علامات** تأتي وتذهب.

قرنها المؤلف بلفظ المخلوقات:

الأراضون السبع والسماوات السبع ---> **مخلوقات**

مراعاة لأغلب السياق القرآني, وجاءت هكذا في القرآن مراعاة لوضعها اللغوي عند العرب, **فهن مقدرات** على هذه الصورة لا يتغيرن.

وَالرَّبُّ هُوَ المَعْبُودُ.

وَالدَّلِيلُ قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۞ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞﴾ [البَقَرَة: ٢١-٢٢].

قَالَ ابن كَثِيرٍ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ-: «الْخَالِقُ لِهٰذِهِ الأَشْيَاءِ، هُوَ المُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ».

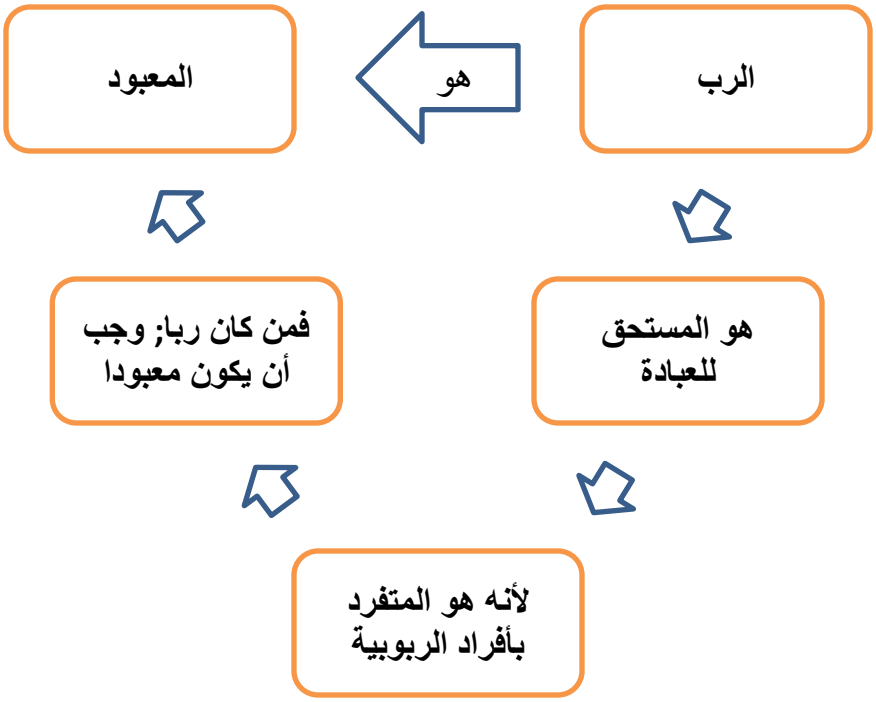

فليس مقصود المؤلف تفسير الرب بالمعبود, بل مقصوده أنه هو المستحق للعبادة. دل على ذلك استدلاله بالآية, واستشهاده بقول ابن كثير.

وَأَنْوَاعُ العِبَادَةِ التِي أَمَرَ اللهُ بهَا ؛ مِثْلُ الإِسْلَامِ، وَالإِيمَانِ، وَالإِحْسَانِ؛ وَمِنْهُ: الدُّعَاءُ، وَالخَوفُ، وَالرَّجَاءُ، وَالتَّوَكُّلُ، وَالرَّغْبَةُ، وَالرَّهْبَةُ، وَالخُشُوعُ، وَالخَشْيَةُ، وَالإِنَابَةُ، والاسْتِعَانَةُ، والاسْتِعَاذَةُ، والاسْتِغَاثَةُ، وَالذَّبْحُ، وَالنَّذْرُ، وَغَيرُ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ العِبَادَةِ التِي أَمَرَ اللهُ بهَا = كُلُّها للهِ تَعَالىٰ.

وَالدَّلِيلُ قَولُهُ تَعَالىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ۞﴾ [الجنّ: ١٨].

ذكر المصنف **أنواع العبادة:**

وقد بين المؤلف حقيقة العبادة بالإرشاد إلى أنواعها, لأن الأفراد المندرجة تحت أصل كلي تبينه وتدل عليه.

إجمالا
وتمثل ذلك في قوله: الإسلام والإيمان والإحسان

وتفصيلا
وتمثل ذلك في قوله: الدعاء والخوف والرجاء ...إلخ

وجميع أفراد العبادة لله وحده ودليل ذلك قوله تعالى:
(وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا).

ودلالة الآية على الأصل المذكور من وجهين:

والجمع بين الإثبات والنفي أبلغ الحصر, فتكون العبادة بهذا; حق متمحض لله ولا تكون لأحد غيره.

قوله: (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ)
فمدار المذكور في تفسيرها على اختلافه يرجع إلى أن العبادة والإجلال والخضوع كله لله وحده

قوله: (فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا)
وهو نهي عن عبادة غير الله, فالدعاء يقع اسما للعبادة, فمعنى الآية: اعبدوا الله ولا تعبدوا معه أحدا

فَمَنْ صَرَفَ مِنْها شَيْئًا لِغَيرِ اللهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ.

وَالدَّلِيلُ قَولُهُ تَعَالىٰ: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝﴾ [المؤمنون: ١١٧].

ودليل ما ذكر المصنف; قوله تعالى:
(وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ)

ووجه الدلالة مركب من أمرين:

ذكر فعل متوعد عليه

في قوله تعالى: (وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ), والفعل المذكور فيها هو عبادة غير الله وأشير إليه بالدعاء, فتقدير الكلام ومن يعبد مع الله إله آخر.

التوعد بالحساب مع بيان المآل

فتوعده بالحساب تهديد له, وما اقترفه كفر; لأن الله تعالى ذكر: (إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ), فالفعل المذكور من الشرك; أوجب لصاحبه الكفر, والكفر يكون بالشرك وبغيره.

ومعنى (لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ): لا حجة ولا بينة عنده على ألوهية من دعاه, وهذا قيد ملازم لكل من دعا غير الله, فإنه يدعو إله خاليا عن برهان يدل على ألوهيته.

وَفِي الحَدِيثِ: «الدُّعَاءُ مُخُّ العِبَادَةِ».

وَالدَّلِيلُ قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۞﴾ [غافر: ٦٠].

دعاء الله شرعا
له معنيان:

وذكر المؤلف الحديث "الدعاء مخ العبادة" كترجمة لعبادة الدعاء وليس دليلا عليها, فالدليل الذي ذكره هو الآية. وفعل هذا في الدعاء دون غيره من العبادات لبيان عظمته وفضله.

عام
وهو امتثال خطاب الشرع المقترن بالحب والخضوع فيقع اسما للعبادة كلها, وهذا هو دعاء العبادة.

خاص
وهو طلب العبد من ربه حصول ما ينفعه ودوامه أو دفع ما يضره ورفعه, وهذا هو دعاء المسألة.

ومعنى "داخرين": صاغرين أذلين

وَدَلِيلُ الخَوفِ قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۞﴾ [آل عِمرَان: ١٧٥].

الخوف من الله شرعا: ⇦ هو فرار القلب إلى الله ذعرا وفزعا.

وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ۞﴾ [الكهف: ١١٠].

رجاء الله شرعا: ⇦ هو أمل العبد بربه في حصول المقصود مع بذل الجهد وحسن التوكل.

وَدَلِيلُ التَّوَكُّلِ قَولُهُ تَعَالىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۞﴾ [المَائدة: ٢٣]، وَقَولُهُ تَعَالىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ [الطّلَاق: ٣].

التوكل على الله شرعا: ⇦ هو إظهار العبد عجزه لله واعتماده عليه.

وبذل الأسباب لم يدخل في تعريف التوكل; لأنه شرط للتوكل, وشرط الشيء لا يدخل في حقيقته فهو خارج عنه, مثل: عدم دخول شروط الصلاة في حقيقتها. ومعنى "حسبه" في الآية الثانية: كافيه.

وَدَلِيلُ الرَّغۡبَةِ وَالرَّهۡبَةِ وَالۡخُشُوعِ قَولُهُ تَعَالىٰ: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ۞﴾ [الأنبيَاء: ٩٠].

الرغبة إلى الله شرعا: ⇦ هي إرادة مرضاة الله للوصول إلى المقصود محبة له ورجاءا.

الرهبة من الله شرعا: ⇦ هي فرار القلب إلى الله ذعرا وفزعا مع عمل ما يرضيه.

الخشوع الله شرعا: ⇦ هو فرار القلب إلى الله ذعرا وفزعا مع الخضوع له.

وَدَلِيلُ الخَشۡيَةِ قَولُهُ تَعَالىٰ: ﴿فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِي﴾ [البَقَرَة: ١٥٠].

الخشية من الله شرعا: ⇦ هي فرار القلب إلى الله ذعرا وفزعا مع العلم بالله وبأمره.

وَدَلِيلُ **الإِنَابَةِ** قَولُهُ تَعَالىٰ: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ﴾ [الزُّمَر: ٥٤] الآية.

الإنابة إلى الله شرعا: ⇦ هي رجوع القلب إلى الله محبة وخوفا ورجاءا.

وَدَلِيلُ **الاَسْتِعَانَةِ** قَولُهُ تَعَالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۞﴾ [الفَاتِحَة: ٥]، وَفِي الحَدِيثِ: «إِذَا ٱسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بالله».

الاستعانة بالله شرعا: ⇦ هي طلب العون من الله في الوصول إلى المقصود, والعون هو المساعدة.

وَدَلِيلُ **الاَسْتِعَاذَةِ** قَولُهُ تَعَالىٰ: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۞﴾ [الفَلَق: ١]، وَقَولُهُ تَعَالىٰ: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۞﴾ [النَّاس: ١].

الاستعاذة بالله شرعا: ⇦ هي طلب العوذ من الله عند ورود المخوف, والعوذ هو الاعتصام والالتجاء.

وَدَلِيلُ **الاَسْتِغَاثَةِ** قَولُهُ تَعَالىٰ: ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ﴾ [الأنفَال: ٩].

الاستغاثة بالله شرعا: ⇦ هي طلب الغوث من الله عند ورود الضرر, والغوث هو المساعدة في الشدة.

وَدَلِيلُ **الذَّبْحِ** قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣]، وَمِنَ السُّنَّةِ قَوْلُهُ ﷺ: «لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيرِ الله».

الذبح لله شرعا:

هو قطع الحلقوم والمريء من **بهيمة الأنعام** تقربا لله على صفة معلومة. وتفسيره بسفك الدم; تفسير للفظ بلازمه, واللفظ يفسر بما وضع له من كلام العرب لا بلازمه.

بهيمة الأنعام

وهي المختصة **بالأضحية والهدي والعقيقة**, ولا يتقرب إلى الله عز وجل بالذبح لغير بهيمة الأنعام, فلا يكون الذبح لغير بهيمة الأنعام عبادة. ولو أن أحدا ذبح شيئا غير بهيمة الأنعام لغير الله; فيكفر لإرادته التقرب لغير الله.

- الغنم
- البقر
- الإبل

وَدَلِيلُ **النَّذْرِ** قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ۞﴾ [الإنسان: ٧].

النذر
لله شرعا له معنيان:

عام
وهو إلزام العبد نفسه امتثال خطاب الشرع, أي الالتزام بدين الإسلام كله.

خاص
وهو إلزام العبد نفسه لله تعالى **نفلا معينا غير معلق**

نفلا: خرج بهذا الواجب, لأنه لازم أصالة.

معينا: خرج بهذا المبهم, لأن الإبهام لا يتحقق فيه النذر. وعليه كفارة نذر.

كمن قال: لله علي نذر

غير معلق: خرج بهذا ما على وجه العوض والمقابلة, المتعلق بحصول المقصود. مع وجوب الوفاء به.

كمن قال: لله علي عمرة إن شفا ابني.

وهذا هو الحد والضابط الذي يقع معه **النذر; عبادة** وتقربا لله عز وجل.

الأَصْلُ الثَّانِي:

مَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلَامِ بِالأَدِلَّةِ

وَهُوَ الاْسْتِسْلامُ للهِ بالتَّوحِيدِ، وَالانْقِيَادُ لَهُ بالطَّاعَةِ، وَالبَرَاءَةُ وَالخُلُوصُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ .

وَهُوَ ثَلاثُ مَرَاتِبَ: الإِسْلَامُ، وَالإِيمَانُ، وَالإِحْسَانُ.

قوله "بالأدلة":

لا يخالف تعلق الأدلة ببقية الأصول الثلاثة, فهو من **ذكر الحكم العام مع بعض الأفراد** لأمر اقتضاه. فقرنها المصنف مع الدين لأن أكثر الأحكام والمسائل فيه.

الدين
يطلق في الشرع على معنيين:

عام
وهو ما أنزله الله على أنبياءه لتحقيق عبادته

خاص
وهو التوحيد

الإسلام الشرعي
له إطلاقان:

عام
وهو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله. وهذا هو دين الأنبياء جميعا. وحقيقته التوحيد والأمران بعده من جملته, وأفردا اعتناءا بهما.

خاص
وله معنيان:

دين محمد
الدين الذي بعث به النبي صلى الله عليه وسلم, ومنه حديث: "بني الإسلام على خمس"

الأعمال الظاهرة
وهذا هو المعنى المقصود إذا قرن الإسلام بالإيمان والإحسان

وحقيقته شرعا: استسلام الباطن والظاهر لله تعبدا له بالشرع المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم على مقام المشاهدة أو المراقبة.

وله ثلاث مراتب:

الأعمال الظاهرة وتسمى **الإسلام**

الاعتقادات الباطنة وتسمى **الإيمان**

مرتبة إتقانهما وتسمى **الإحسان**

والواجب من تلك المراتب على الأعيان يرجع إلى **ثلاثة أصول**:

وهذه الأصول الثلاثة من **الاعتقاد والفعل والترك** تبين ما يجب على العبد من الإسلام والإيمان والإحسان

الاعتقاد
والواجب فيه كونه موافقا للحق في نفسه, وجماعه أصول الإيمان الستة, والحق في الاعتقاد ما جاء به الشرع.

الفعل
والواجب فيه موافقة حركات العبد الإختيارية ظاهرا وباطنا للشرع أمرا وحلا.

الحركات الاختيارية هي ما صدر عن إرادة وقصد

الأمر هو الفرض والنفل

الحل هو الحلال المأذون فيه

وفعل العبد نوعان:

فعله مع ربه; وجماعه شرائع الإسلام اللازمة له

فعله مع الخلق; وجماعه أحكام المعاشرة والمعاملة مع الخلق كافة

الترك
والواجب فيه موافقة ترك العبد واجتنابه ابتغاء مرضاة الله تعالى. وجماعه ترك المحرمات الخمس التي اتفقت عليها الأنبياء وما يرجع إليها وتوابعها, وهي:

- الفواحش
- الإثم
- البغي
- الشرك
- القول على الله بغير علم

وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَانٌ؛ فَأَرْكَانُ الإِسْلَامِ خَمْسَةٌ، وَالدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ حَدِيثُ ابنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَىٰ خَمْسٍ؛ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَومِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ البَيْتِ».

وَالدَّلِيلُ قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عِمرَان: ١٩]، وَقَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عِمرَان: ٨٥].

أي: الدليل على أن الدين الذي يجب اتباعه هو الإسلام. والآياتان تتعلقان بالإسلام بمعناه العام, ويصح الاستدلال بهما على الإسلام بمعناه الخاص; لاندراجه في معنى الإسلام العام وكونه فردا من أفراده.

وَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عِمرَان: ١٨].

وَمَعْنَاهَا: لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلَّا اللهُ.

(لَا إِلٰهَ): نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ.

(إِلَّا اللهُ): مُثْبِتًا العِبَادَةَ للهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي مُلْكِهِ.

وَتَفْسِيرُهَا الذِي يُوَضِّحُهَا: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٧] الآيَةُ، وَقَولُهُ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عِمرَان: ٦٤].

وَدَلِيلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وَمَعْنَىٰ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، وَاجْتِنَابُ مَا عَنْهُ نَهَىٰ وَزَجَرَ، وَأَنْ لَا يُعْبَدَ اللهُ إِلَّا بِمَا شَرَعَ.

والشهادة التي هي ركن من أركان الإسلام: شهادة لله عز وجل بالتوحيد وشهادة لمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة.

يعني: يعز عليه ما يشق عليكم, والعنت: المشقة

أي: وأن لا يعبد الله إلا بما شرعه الله; لأن **فعل الشرع لا ينسب** لغير الله لوجهين:

أن فعل الشرع ما جاء مضافا في الكتاب أو السنة إلا لله تعالى.

أنه لم يقل أحد من الصحابة شرع رسول الله, بل قالوا فرض رسول الله أو سن رسول الله. فالتشريع وضع لما يتقرب به إلا الله, أما الفرض والسن للمبلغ عن الشارع.

الشرع حق الله دون رسوله ***
بالنص أثبت لا بقول فلان
أوما رأيت الله حين أشاده ***
ما جاء في الآيات ذكر الثاني
وجميع صحب محمد لم يخبروا***
شرع الرسول وشاهدي برهاني

وَدَلِيلُ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَتَفْسِيرِ التَّوحِيدِ قَولُهُ تَعَالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۞﴾ [البَيِّنَة: ٥].

والصلاة التي هي ركن من أركان الإسلام: صلاة اليوم والليلة, وهي الصلوات الخمس.

والزكاة التي هي ركن من أركان الإسلام: الزكاة المفروضة المعينة في الأموال, ولا تدخل فيها زكاة الفطر.

ومعنى قوله تعالى: (دِينُ الْقَيِّمَةِ): دين الكتب القيمة, أي المستقيمة المنزلة على الأنبياء, وهو دين الأنبياء جميعا.

وَدَلِيلُ الصِّيَامِ قَولُهُ تَعَالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ۞﴾ [البَقَرَة: ١٨٣].

وَدَلِيلُ الحَجِّ قَولُهُ تَعَالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۞﴾ [آل عِمرَان: ٩٧].

والصوم الذي هو ركن من أركان الإسلام: صوم رمضان في كل سنة.

والحج الذي هو ركن من أركان الإسلام: حج بيت الله الحرام في العمر مرة واحدة.

الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: الإِيمَانُ

وَهُوَ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَعْلَاهَا قَولُ لَا إِلَهَ إِلا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذىٰ عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ.

وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَومِ الآخِرِ، وَبِالْقَدَرِ خَيرِهِ وَشَرِّهِ؛ كُلُّهُ مِنَ اللهِ.

وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ هٰذه الأَرْكَانِ السِّتَّةِ قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [البَقَرَة: ١٧٧].

وَدَلِيلُ القَدَرِ قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القَمَر: ٤٩].

الإيمان
في الشرع له معنيان:

عام
وهو الدين الذي بعث به محمد صلى الله عليه وسلم. وحقيقته شرعا التصديق الجازم ظاهرا وباطنا بالله عز وجل تعبدا له بالشرع المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم على مقام المشاهدة أو المراقبة, فيقع بهذا اسما للدين كله.

خاص
وهو الاعتقادات الباطنة فإنها تسمى إيمانا, وهذا هو المقصود إذا قرن الإيمان بالإسلام والإحسان.

شعب الإيمان
هي خصاله وأجزاؤه الجامعة له

ومنها:

قولي
كقول لا إله إلا الله وهو أعلاها

عملي
كإماطة الأذى عن الطريق وهو أدناها

قلبي
كالحياء

القدر الواجب المجزئ
من أركان الإيمان الستة الذي لا يصح إيمان العبد إلا به في:

- الإيمان بالله: أن تؤمن بالله ربا موجودا مستحقا للعبادة له الأسماء الحسنى والصفات العليا.
- الإيمان بالملائكة: أن تؤمن بأن الملائكة خلق من خلق الله تعالى, ومنهم من نزل بالوحي على الأنبياء بأمر الله عز وجل.
- الإيمان بالكتب: أن تؤمن بأن الله تعالى أنزل على من شاء من الرسل كتبا هي كلامه عز وجل ليحكموا بين الناس فيما اختلفوا فيه وكلها منسوخة بالقرآن.
- الإيمان بالرسل: أن تؤمن بأن الله أرسل إلى الناس رسلا منهم ليأمروهم بعبادة الله وأن خاتمهم هو محمد صلى الله عليه وسلم
- الإيمان باليوم الآخر: أن تؤمن بالبعث في يوم عظيم هو يوم القيامة لمجازاة الخلق, فمن أحسن فله الحسنى وهي الجنة ومن أساء فله ما عمل وجزاؤه النار.
- الإيمان بالقدر خيره وشره: أن تؤمن بأن الله عز وجل قدر كل شيء من خير وشر أزلا ولا يكون شيء إلا بمشيئته وخلقه.

والواجب على العبد من مسائل الإيمان نوعان:

الواجب ابتداءا
مما لا يصح إيمان العبد إلا به

الواجب تبعا
بالنظر إلى علم العبد بالدليل ووصوله إليه

الْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: الإِحْسَانُ

رُكْنٌ وَاحِدٌ؛ وَهُوَ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان: ٢٢]، وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ۝﴾ [النحل: ١٢٨] وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]، وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۝ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ۝ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝﴾ [الأنفال: ٦١]، [الشعراء: ٢١٧-٢١٩]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: ٦١].

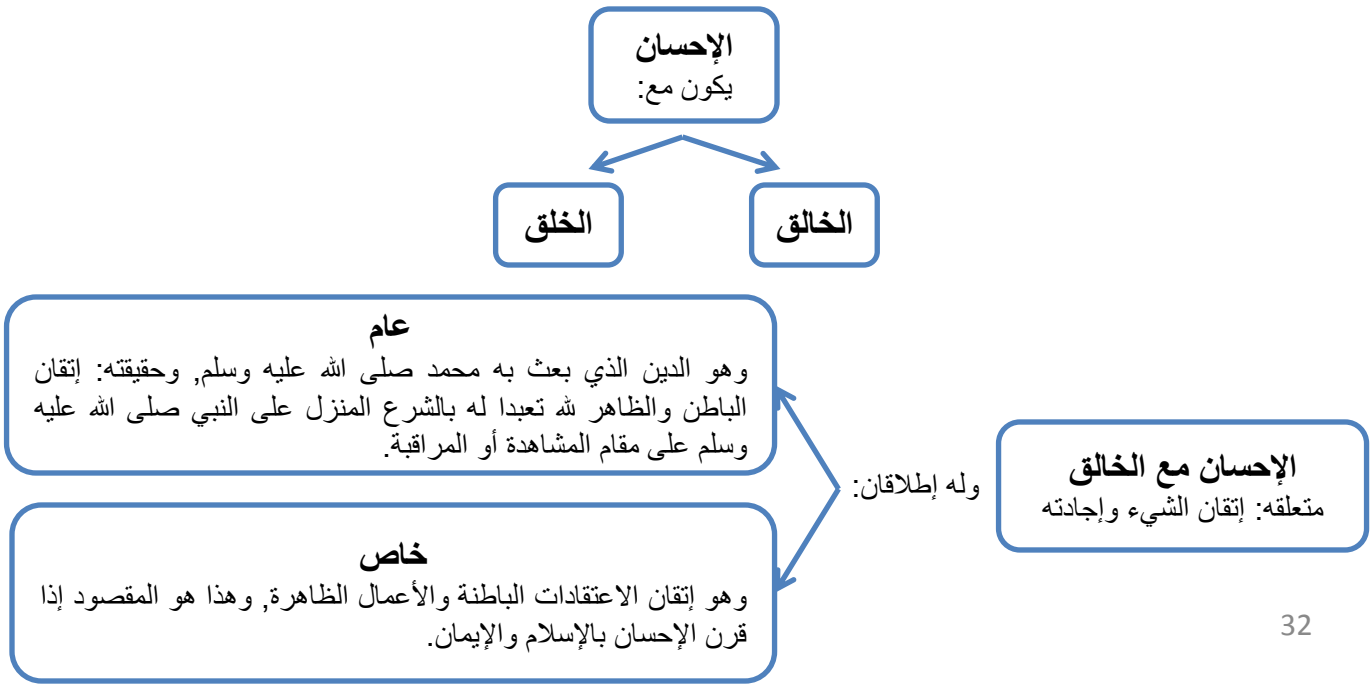

القدر المجزيء الواجب
من الإحسان مع الخالق يرجع إلى أصلين:

إحسان معه في **حكمه القدري** بالصبر على الأقدار.

إحسان معه في **حكمه الشرعي** بامتثال خبره بالتصديق إثباتا ونفيا وامتثال طلبه بفعل الفرائض واجتناب المحرمات واعتقاد حل الحلال.

وأركان الإحسان
ركنان:

وقول المؤلف: "الإحسان ركن واحد" أي شيء واحد, لأن الركن لا يكون إلا متعددا. وإنما أراد المؤلف حقيقة الإحسان.

أن تعبد الله عز وجل

أن يكون إيقاع العبادة على مقام المشاهدة أو المراقبة

والأدلة على مرتبة الإحسان
نوعان:

أدلة من **القرآن**

دليل من **السنة**

وهو **حديث جبريل** عليه السلام وفيه التصريح بمرتبة الإحسان وحقيقته.

أدلة فيها التصريح بمدح المحسنين

في الآيتين الأولى والثانية

أدلة فيها التصريح بمقام المراقبة

في الآيتين الرابعة والخامسة. ومعنى (تُفِيضُونَ فِيهِ): شرعتم تعملون فيه ودخلتم به.

أدلة متضمنة لحقيقة الإحسان

في الآية الثالثة. ووجه دلالتها على الإحسان في مدح التوكل المشتمل على تفويض الأمر إلى الله, ولا يكون العبد مفوضا أمره إلى الله إلا مع عبادته على مقام المشاهدة أو المراقبة, وهذه حقيقة الإحسان.

وَالدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ: حَدِيثُ جَبْرائِيلَ عليه السلام المَشْهُورُ عَنْ عُمَرَ رضي الله عنه، قَالَ: بَينَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ، إِذْ طَلَعَ عَلَينَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَاب، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرىٰ عَلَيهِ أَثَرُ السَّفَر، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، فَجَلَسَ إِلَىٰ النَّبيِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيهِ إِلَىٰ رُكْبَتَيهِ، وَوَضَعَ كَفَّيهِ عَلَىٰ فَخِذَيهِ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلَامِ؟

فَقَالَ: «أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ البَيتَ إِنِ ٱسْتَطَعْتَ إِلَيهِ سَبِيلًا».

فَقَالَ: صَدَقْتَ، فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ.

قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ؟

قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ باللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَومِ الآخِرِ، وَبالقَدَرِ خَيرِهِ وَشَرِّهِ».

قَالَ: صَدَقْتَ.

قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ؟

قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ».

قَالَ: صَدَقْتَ.

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؟

قَالَ: «مَا المَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ».

قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا؟

قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرىٰ الحُفَاةَ العُرَاةَ العَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي البُنْيَانِ».

قَالَ: فَمَضَىٰ فَلَبِثْنَا مَلِيًّا.

فَقَالَ ﷺ: «يَا عُمَرُ؛ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ»؟

قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قَالَ: «هٰذا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُمْ».

الأَصْلُ الثَّالِثُ:

مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ ﷺ

وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنَ العَرَبِ، وَالعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الخَلِيلِ، عَلَيهِ وَعَلَىٰ نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ.

أصول **معرفة الرسول** الواجبة على الأعيان:

- **معرفة اسمه**
  - محمد - دون بقية نسبه وهو المذكور في القرآن
- **معرفة أنه عبد الله ورسوله**
  اختاره الله واصطفاه من البشر وفضله بالرسالة وهو خاتم الأنبياء
- معرفة أنه جاءنا بالبينات والهدى ودين الحق
- معرفة أن الذي دل على صدقه وثبتت به رسالته هو القرآن كتاب الله

النبي في الشرع
يطلق على معنيين:

- **عام**
  وهو رجل إنسي حر أوحي إليه وبعث إلى قوم, فيندرج فيه الرسول
- **خاص**
  وهو رجل إنسي حر أوحي إليه وبعث إلى قوم موافقين, فلا يندرج فيه الرسول

وَلَهُ مِنَ العُمْرِ ثَلَاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ نَبيًّا رَسُولًا.

نُبِئَ باقْرَأْ، وَأُرْسِلَ بالمُدَّثِّرِ، وَبَلَدُهُ مَكَّةُ.

وحي البعث
الذي يصطفي الله به من يشاء من عباده
نوعان:

- وحي نبوة
- وحي رسالة

بَعَثَهُ اللهُ بالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُوَ إِلىٰ التَّوحِيدِ.

وَالدَّلِيلُ قَولُهُ تَعَالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۞ قُمْ فَأَنذِرْ ۞ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۞ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۞ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۞ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۞ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۞﴾ [المدَّثِّر: ١-٧].

وَمَعْنَىٰ: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ ۞﴾ [المدَّثِّر: ٢]: يُنْذِرُ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُوَ إِلىٰ التَّوحِيدِ.

﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۞﴾ [المدَّثِّر: ٣]؛ أَي عَظِّمْه بالتَّوحِيدِ.

المقصود من بعثة النبي
عليه الصلاة والسلام أمران:

- **النذارة عن الشرك**, ولفظ النذارة مشتمل على التحذير والترهيب ودل عليه قوله تعالى: (قُمْ فَأَنذِرْ), ففيه أمر بالنذارة من كل ما يحذر وأعظمه الشرك.
- **الدعوة إلى التوحيد**, ولفظ الدعوة مشتمل على الطلب والترغيب, ودل عليه قوله تعالى: (وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ), ففيه أمر بتكبير الله وتعظيمه وأعظمه التوحيد.

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۞﴾ [المدَّثِّر: ٤]؛ أَي طَهِّرْ أَعْمَالَكَ عَنِ الشِّرْكِ.

﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۞﴾ [المدَّثِّر: ٥]؛ الرُّجْزُ: الأَصْنَامُ، وَهَجْرُهَا: تَرْكُهَا وَأَهْلِهَا، وَالبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلِهَا، وَعَدَاوَتُها وَأَهْلِهَا، وَفِرَاقُهَا وَأَهْلِهَا.

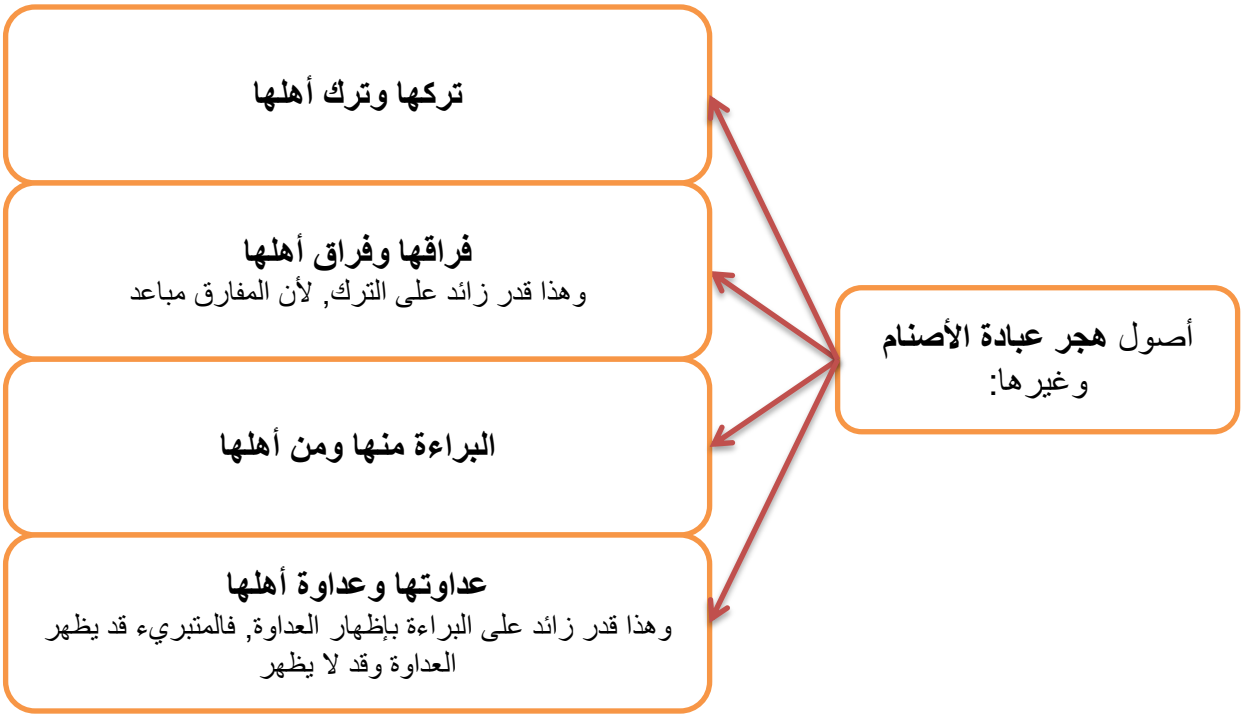

أَخَذَ عَلَىٰ هٰذا عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُو إِلَىٰ التَّوحِيدِ، وَبَعْدَ العَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ، وَفُرِضَتْ عَلَيهِ الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، وَصَلَّىٰ في مَكَّةَ ثَلَاثَ سِنِينَ، وَبَعْدَهَا أُمِرَ بالهِجْرَةِ إِلَىٰ المَدِينَةِ.

وَالهِجْرَةُ: فَرِيضَةٌ عَلَىٰ هٰذه الأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَىٰ بَلَدِ الإِسْلَامِ، وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَىٰ أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ.

الهجرة في الشرع
هي ترك ما يكرهه الله ويأباه إلى ما يحبه ويرضاه

وهي ثلاثة أنواع:

هجرة عمل السوء
بترك الكفر والفسوق والعصيان

هجرة بلد السوء
بمفارقته والتحول عنه إلى غيره

هجرة أصحاب السوء
بمجانبة من يؤمر بهجره من الكفرة والمبتدعة والفساق

وهي واجبة على من اجتمع فيه شرطان:

عدم القدرة على إظهار الدين
فمن كان قادرا على إظهار الدين كانت في حقه مستحبة

وجود القدرة على الخروج من بلد الكفر
فإن عجز عنها; عذر لعجزه

وإظهار الدين شرعا يتحقق بأمرين:

إعلان شعائر الدين
وهو الجهر بشرائعه الظاهرة كالأذان والصلاة والصيام

إبطال دين المشركين
ببيان ضلالهم والتصريح بعداوتهم والبراءة منهم وآكده بيان سبب كفرهم

وَالدَّلِيلُ قَولُهُ تَعَالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ❊ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ❊ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ❊﴾ [النِّسَاء: ٩٧-٩٩]، وَقَولُهُ تَعَالىٰ: ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ❊﴾ [العَنكبوت: ٥٦].

قَالَ البَغَوِيُّ -رَحِمَهُ الله تَعَالىٰ-:

«سَبَبُ نُزُولِ هٰذه الآيَةِ: في المُسْلِمِينَ الذِينَ بمَكَّةَ لَمْ يُهَاجِرُوا؛ نَادَاهُمُ الله باسْمِ الإِيمَانِ».

وما ذكره المؤلف عن البغوي; هو معنى ما نقله البغوي في تفسيره عن جماعة, لا نص لفظه. فيصير معنى "قال": "ذكر", فتقدير الكلام "ذكر البغوي" وهذا من عادة المؤلف. ولم يثبت أن المذكور سبب نزول الآية, والصحيح أنه تفسير لها.

وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ الهِجْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ قَولُهُ ﷺ: «لا تَنْقَطِعُ الهِجْرَةُ حَتَّىٰ تَنْقَطِعَ التَّوبَةُ، وَلا تَنْقَطِعُ التَّوبَةُ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا».

فَلَمَّا ٱسْتَقَرَّ بالمَدِينَةِ أُمِرَ فِيهَا ببَقِيَّةِ شَرَائِعِ الإِسْلَامِ؛ مِثْلُ الزَّكَاةِ وَالصَّومِ وَالحَجِّ والأَذَانِ وَالجِهَادِ وَالأَمْرِ بالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ، وَغَيرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الإِسْلَامِ.

أَخَذَ عَلَىٰ هٰذا عَشْرَ سِنِينَ، وَبَعْدَهَا تُوُفِّيَ -صَلَوَاتُ الله وَسَلَامُهُ عَلَيهِ- وَدِينُهُ بَاقٍ.

وهٰذا دِينُهُ، لا خَيرَ إِلَّا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيهِ، وَلا شَرَّ إِلَّا حَذَّرَهَا عَنْهُ.

وَالخَيرُ الذِي دَلَّ عَلَيهِ: التَّوحِيدُ وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ الله وَيَرْضَاهُ.

وَالشَّرُّ الذِي حَذَّرَهَا عَنْهُ: الشِّرْكُ وَجَمِيعُ مَا يَكْرَهُهُ الله وَيَأْبَاهُ.

بَعَثَهُ الله إِلَىٰ النَّاسِ كَافَّةً، وَافْتَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَىٰ جَمِيعِ الثَّقَلَينِ الجِنِّ وَالإِنْسِ، وَالدَّلِيلُ قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

ولفظ "الناس": يشمل الجن والإنس في أصح قولي أهل اللغة, وأصله من النوس, وهو الحركة والاضطراب.

وَأَكْمَلَ اللهُ لَهُ الدِّينَ.

وَالدَّلِيلُ قَولُهُ تَعَالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المَائدة: ٣].

وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ مَوتِهِ ﷺ قَولُهُ تَعَالىٰ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۞ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ۞﴾ [الزُّمَر: ٣٠-٣١].

وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُوا يُبْعَثُونَ.

وَالدَّلِيلُ قَولُهُ تَعَالىٰ: ﴿۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ۞﴾ [طه: ٥٥]، وَقَولُهُ تَعَالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ۞ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ۞﴾ [نُوح: ١٧-١٨].

وَبَعْدَ البَعْثِ مُحَاسَبُونَ وَمَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ.

وَالدَّلِيلُ قَولُهُ تَعَالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ۞﴾ [النَّجم: ٣١].

وَمَنْ كَذَّبَ بالبَعْثِ كَفَرَ.

وَالدَّلِيلُ قَولُهُ تَعَالىٰ: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۞﴾ [التَّغَابُن: ٧].

والبعث في الشرع	هو قيام الخلق إذا أعيدت الأرواح إلى الأبدان بعد نفخة الصور الثانية. ومن كذب بالبعث كفر, ووجه دلالة الآية: أن التكذيب بالبعث من دعاوى الكفار فمن ادعى دعواهم صار مثلهم.
والحساب في الشرع	هو عد أعمال العبد يوم القيامة.
والجزاء	هو الثواب على الأعمال بالنعيم المقيم وداره الجنه, أو بالعذاب الأليم وداره النار.

وَأَرْسَلَ اللهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ.

وَالدَّلِيلُ قَولُهُ تَعَالىٰ: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾ [النِّسَاء: ١٦٥].

وأَوَّلُهُمْ نُوحٌ، وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ -عَلَيهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلَامُ- وَهُوَ خَاتَمُ النَّبيينَ، لَا نَبيَّ بَعْدَهُ.

وَالدَّلِيلُ قَولُهُ تَعَالىٰ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ﴾ [الأحزَاب: ٤٠].

وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ أَنَّ نُوحًا أَوَّلُ الرُّسُلِ قَولُهُ تَعَالىٰ: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾ [النِّسَاء: ١٦٣].

بعثة الأنبياء والرسل
تتضمن أمرين:

البشارة
لمن أطاعهم بالفلاح في الدنيا والآخرة

النذارة
لمن عصاهم من الخسران في الدنيا والآخرة

خاتم النبيين هو محمد صلى الله عليه وسلم ⇦ وذكر المؤلف الدليل على تلك المسألة; لجلالتها .

أول المرسلين هو نوح صلى الله عليه وسلم ⇦ ووجه دلالة الآية: تقديم ذكر نوح بابتداء الوحي إليه. والإيحاء الذي قدم فيه نوح عليه السلام هو إيحاء الرسالة, أما إيحاء النبوة فتقدمه فيه آدم اتفاقا, وأصرح من هذه الآية حديث أنس بن مالك رضي الله عنه وفيه: أن آدم عليه السلام يقول "إئتوا نوحا فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض".

وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللهُ إِلَيهَا رَسُولًا مِنْ نُوحٍ إِلىٰ مُحَمَّدٍ ـ عَلَيهِمَا الصَّلاةُ وَالسَّلَامُ ـ يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الله وَحْدَهُ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ.

وَالدَّلِيلُ قَولُهُ تَعَالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النّحل: ٣٦].

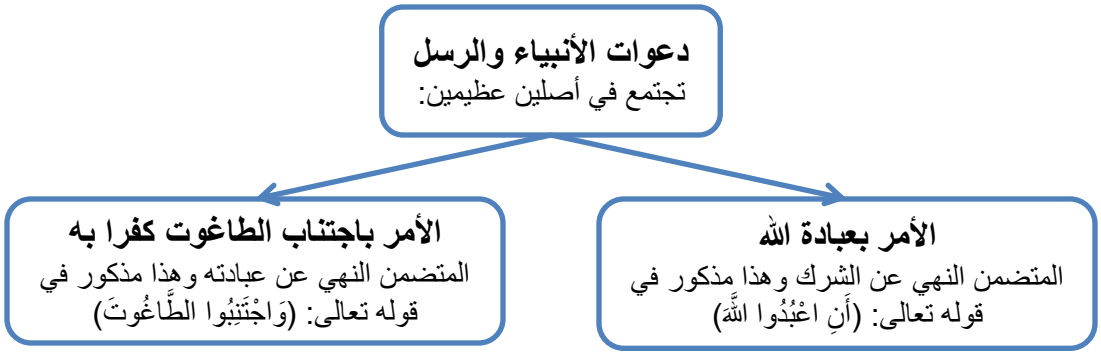

وقوله تعالى: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ)
دال على أمرين ذكرهما المصنف:

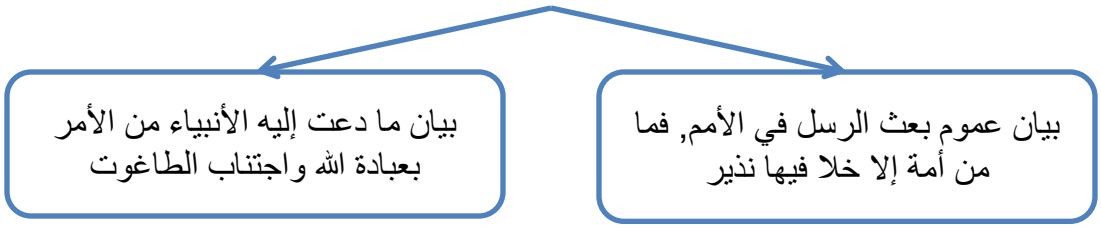

وَافْتَرَضَ اللهُ عَلَىٰ جَمِيعِ العِبَادِ الكُفْرَ بالطَّاغُوتِ وَالإِيمَانَ بالله.

قَالَ ابن القَيِّمِ -رَحِمَهُ الله تَعَالىٰ-:

«ومَعْنَىٰ الطَّاغُوتِ: مَا تَجَاوَزَ بِهِ العَبْدُ حَدَّهُ، مِنْ مَعْبُودٍ، أَو مَتْبُوعٍ، أَو مُطَاعٍ».

وَالطَّوَاغِيتُ كَثِيرُونَ، وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ: إِبْلِيسُ - لَعَنَهُ الله -، وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ، وَمَنْ ٱدَّعَىٰ شَيئًا مِنْ عِلْمِ الغَيْبِ، وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَىٰ عِبَادَةِ نَفْسِهِ، وَمَنْ حَكَمَ بغَيرِ مَا أَنْزَلَ الله.

الطاغوت
له معنيان:

خاص
وهو الشيطان, فإذا أطلق الطاغوت في القرآن كان هو المراد

عام
وهو المقصود بقول ابن القيم, وهو المراد إذا أطلق الطاغوت في القرآن وكان فعله المذكور معه للجمع

قال تعالى: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ).

قول المصنف: "ورؤوسهم"

أي أعظمهم خطرا وأشدهم شرا. والغيب الذي يعد مدعيه طاغوتا; هو الغيب المطلق الذي لا يعلمه إلا الله عز وجل.

وَالدَّلِيلُ قَولُهُ تَعَالىٰ: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۩﴾ [البَقَرَة: ٢٥٦].

وهٰذا هُوَ مَعْنَىٰ لَا إِلٰه إِلَّا الله، وَفي الحَدِيثِ: «رأسُ الأَمْرِ الإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ في سَبيلِ الله».

واللهُ أَعْلَمُ، وَصَلَّىٰ الله عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

العروة:	ما يتعلق ويستمسك به.
لا انفصام لها:	لا انقطاع لها, وفصم الشيء كسره من غير أن يزول عن موضعه, فيصير مكسورا مع بقاءه في محله.
رأس الأمر الإسلام:	أي رأس الدين الإسلام, وهو دال على معنى لا إله إلا الله; لأن حقيقة الإسلام الاستسلام لله بإفراده بالعبادة والكفر بعبادة غيره, فهذا هو رأس الدين.

والحمد لله, وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم